النشاط الثقافي في العالم

الاتحاد السوفياتي

رسالة من جليل كمال الدين

حديث .. عن الثقافة العربية والصداقة السوفيتية

***

تتطور الصداقة العربية السوفيتية باستمرار وباطراد ، وهي تتجلى في كل صعيد ، وعلى كل المستويات . ان المعركة المشتركة ضد الامبريالية والصهيونية تمنح الصداقة العربية ـ السوفيتية ابعادا كبيرة ، ومنطلقات رحبة حقا .

وعلى صعيد الثقافة تنعكس هذه الصداقة انعكاسا طيبا ، الا انها تظل ، في اكثر من مناسبة ، واكثر من مكان ، دون المستوى المطلوب والاسباب في ذلك اسباب موضوعية حينا ، وغير موضوعية حينا آخر .

لقد صدرت كتب كثيرة للقارىء السوفيتي ، وهي كتب تعريف بواقع العرب ، ولغة العرب ، وثقافة العرب ، وبالادب العربي والمعركة العربية الواحدة ضد الاستعمار والصهيونية . وحسبنا ان نشير الى كتاب « حياة ومآثر عنترة » ، والمقصود به (سيرة عنترة بن شداد العبسي) ، وقد صدر عن دار نشر « العلم » في سلسلة الادب الشرقي ، والى كتاب « الفيلوجيا العربية » ، وقد صدر عن دار نشر جامعة موسكو الحكومية ، والى كتاب « المسائل النظرية للادب الشرقي » وقد رصد فيه الادب العربي ، وافسح حيز مناسب للتحدث عنه ، وقد صدر الكتاب عن « دار نشر العلم » في موسكو وبالطبع لا ينبغي ان ننسى البرامج العربية التي تذاع من راديو موسكو ، وقد استحدث فيها اخيرا « برنامج الجندي العربي »وهو يتحدث عن الفدائيين والجنود العرب في خطوط القتال ، ويحكي عن مآثرة الجنود والمقاومين السوفييت أيام الحرب العالمية الثانية ، كما مفروض فيه ان يتعرض لادب المقاومة السوفيتي والعربي . وواضح ان هذه الخطوة قد جاءت على مستوى الحدث ، وكان ينبغي ان تتم منذ زمن . كما ان راديو موسكو يعرف المستمع العربي تعريفا طيبا بالادب الروسي ـ كانت الجهود حتى الان طيبة وتعد بالكثير ـ وبادب الشرق السوفيتي ، وذلك في برنامج « كتاب من الشرق السوفيتي » الذي تحدث حتى الان عن جملة من ادباء الشرق السوفيتي المرموقين امثال موسى جليل وآيتمانوف وحمزاتوف وجامبول وغفور غلام وصمد فرغون وسواهم . كما تتم جهود جادة لتعريف المستمع العربي بالفلكلور الشعبي الروسي والسوفيتي وبالامثال الروسية ومواطن لقائها وافتراقها بالامثال العربية . وما من شك في ان امثال هذه البرامج الثقافية تعين كثيرا على توفير اسس تفاهم وزمالة وتعاون وصداقة مخلصة حقا على الصعيد الثقافي . على ان راديو موسكو ـ القسم العربي ـ لا يزال بحاجة الى الكثير من الجهود ، والبرامج ، والايدي والكوادر المثقفة التي تضع نصب عينها تحقيق مهمة المزاملة والصداقة والتعاون في صعيد الثقافة ، على افضل ما يكون .

ويصدر معهد شعوب اسيا (معهد الاستشراق) مجلتي « اسيا وافريقيا اليوم » و « شعوب اسيا وافريقيا » وهاتان المجلتان تقومان بتعريف القارىء السوفيتي ، باللغة الروسية ، بكثير من اداب الشرق في ماض وحاضر ، ولكنها لم تف بمهامها الجسيمة ، التي انفتحت لوحة غنية لها بعد الحرب العالمية الثانية ، وبعد التحولات الاجتماعية والسياسية الخطيرة في البلدان العربية ، نقول لم تف بهذه المهمات حق الايفاء . فلا زالت ثمة نواقص ومواطن قصور ، وتجاوز وتخط لمعطيات واقع التعاون والصداقة في المجال الثقافي . وفي راينا ان ذلك يمكن تداركه لو استعين بكوادر مثقفة متفرغة من المستعربين ومن الادباء العرب ، ولو استكتب الادباء العرب في البلدان العربية ،ولو وضعت خطة دقيقة لتطوير التعريف باداب الشرق تعريفا على مستوى العلاقات الصداقية ، والعلاقات الثقافية الودية بين الاتحاد السوفيتي والدول العربية .

***

وفي الآونة الاخيرة (اعتبارا من ١ نيسان ١٩٦٩) صدرت جريدة « انباء موسكو » (ويصدرها : اتحاد الجمعيات السوفيتية للصداقة والعلاقات الثقافية مع البلدان الاجنبية ويرأس مجلس ادارتها :باكوف اومكو ، اما رئيس تحريرها فهو المستعرب الاذربيجاني وليد اتامالي) تتحدث هذه الجريدة (وقد صدر حتى الان ١١ عددا منها) عن واقع الحياة السوفيتية ، وعن « الاتحاد السوفيتي والعالم العربي » وعن وقائع التعاون والمزاملة وتطور الصداقة العربية السوفيتية على كل صعيد . ومامن شك ان هذه المهمة التي وضعتها لنفسها هذه الجريدة هي مهمة ضخمة حقا ، كان ينبغي ان تخصص لتحقيقها عدة جرائد ومجلات تصدر باللغة العربية ، خصوصا وان وقائع تطور العلاقات الصداقية ،على كل صعيد ، بين العرب والسوفيت هي ضخمة ، واعدة بالكثير ، ولكن الجريدة صدرت بثمان صفحات فقط (وثمة وعد بان تصدر بـ ١٦ صفحة) ،كما انها لحد الان ، لم تف بقسط كبير من المهمة التي اعتمدتها . اجل ثمة جهود ، ووعود (منها استعانة الجريدة بعدد من المستعربين السوفيت المشهورين) وثمة آفاق رحبة ،حقا ، لتطور الجريدة ، لكنها لا زالت دون المستوى المطلوب .

ويكتب في الجريدة ادباء عرب معروفون امثال الاستاذ مواهب الكيالي ، القاص السوري المشهور ، صاحب « المناديل البيض » والشاعر جيلي عبدالرحمن ،وهو شاعر سوداني معروف (صدر له ديوانه « الجواد والسيف المكسور ») ، وقد اتم الدراسة في معهد غوركي للادب العالي ، وهو يكتب رسالة الدكتوراه الان) ، والقاص السوري المعروف سعيد حورانيه ، الذي صدرت له عدة كتب . وقد كتب هؤلاء الادباء المرموقون في باب « يوميات عربي في موسكو » كلمات طيبة بشان الصداقة العربية السوفيتية ، وواقع الحياة السوفيتية اليوم . ولكن هل هذا هو المامول منهم ؟ وهل ينبغي عليهم ان يتحددوا بهذا ، ولا يتجاوزوا الى سواه ؟ في رايي ان بامكانهم الكتابة في « الادب الفني » ، وهو مجالهم الخاص ،ومنطلقهم الذي تخصصوا به . فبامكان الشاعر جيلي عبدالرحمن ان يمنح قارئيه شعرا عربيا حديثا رائعا ، وبامكان الاستاذين الكيالي وحورانيه أن يكتبا قصصا طيبة من امثال « المناديل البيض » و « حينا يبصق دما » ، اما هذا الاقتصار على ادب المقالة ،او بالضبط ادب الخاطرة ، والملاحظة السريعة ، والانطباع العاجل ، فهو امر دون ما هو مرجو منهم ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فانه لا يعطي العطاء الكبير لا للجريدة ذاتها ، ولا للجهة التي تصدرها ، ولا للقراء العرب ، الذين تخاطبهم الجريدة وتتوجه اليهم من موسكو.

وفي اعتقادي ان الجريدة تستطيع ان تتطور بخطى واسعة ، وان تعني بكثير من مهامها (وهي الجريدة العربية الوحيدة التي تصدر في البلدان الاشتراكية) لو بذلت جهود مخلصة في الخروج من القوقعة التي تحيطها ، ولو استعين باقلام وكوادر اخرى ، ولو تركللادباء العرب وغيرهم ان يتحدث كل في نطاق اختصاصه . ان بامكان الجريدة ان تتحدث عن وقائع الحياة السوفيتية بشكل اكثر تفصيلا (خذ مثلا لقاء ٥ حزيران ١٩٦٩ في موسكو الذي تم تحت شعار : اختيار افضل السبل لمكافحة الاستعمار والاستعمار الجديد) وان تحكي عن الوان الكتب التي تصدرها دور النشر المختلفة للحديث عن اداب وثقافة وواقع وتاريخ البلدان العربية (الحق كتبت الجريدة في عددها الحادي عشر عن كتاب « التاريخ الاحدث للاقطار العربية » وان تعرف القارىء العربي تعريفا طيبا بالادب والثقافة الروسية والسوفيتية، وان تكون في مستوى الاحداث في الوطن العربي ،وفي تطور العلاقات الصداقية السوفيتية العربية . وتستطيع الجريدة ان تحقق كثيرا من مهامها ، فكادرها طيب بمترجميه ومحرريه ، وبالادباء الذين يستكتبهم، وامكانياتها ضخمة ، وتستطيع ان تعتمد الكثير من المال والوقت والجهد والكوادر لتخطو الخطوات المنتظرة منها ، بل تستطيع ان تتجاوز اخواتها (الصادرة باللغة الانكليزية ، والفرنسية ،والالمانية) فالحق ان علاقات الاتحاد السوفيتي بالوطن العربي الكبير علاقات ضخمة تتسع باستمرار ،وفي كل ساعة ، وفي كل يوم .

على ان حديثنا سيكون قاصرا حقا اذا لم نتحدث عن جهود دارين للنشر ، باللغة العربية ، كبيرتين في موسكو ، نعني بهما « دار التقدم » لطبع ادبيات العلوم الانسانية ، و « دار السلم » لطبع ادبيات العلوم الطبيعية .

اصدرت دار التقدم ، منذ تأسيسها حتى الان عددا وافرا من الكتب باللغة العربية منها « روائع القصة السوفيتية » ومنها الكتب في تاريخ وجغرافية الاتحاد السوفيتي ، والكتب في تاريخ البلدان العربية وغيرها . على ان هذه الدار تعاني من نقص في كوادر المترجمين (كل المترجمين المحترفين أربعة لا غير) ، ومن ضيق في المكان ،ومن قلة في الاعتمادات . واذا أخذنا بنظر الاعتبار الانفتاح الكبير الذي تم في مجالي العلاقات الثقافية العربية السوفيتية ، والطلب الواسع الذي تتقدم به جماهير القراء العرب في كل البلدان العربية للتعرف على روائع الادب الروسي الكلاسيكي والادب السوفيتي ، اقول اذا اخذنا بنظر الاعتبار هذين العاملين ـ وهما على غاية الخطورة والاهمية ـ فان ما فعلته دار « التقدم » لا يزال دون ما هو مرجو ومؤمل . ولعل ذلك راجع الى النقص في المترجمين المحترفين ، والقلة في الاعتمادات وسواها من عوامل ، او لعل عوامل اخرى تحول دون ذلك . وتعد الدار بان تقدم للقراء العرب قصصا مشهورة لبوريس بوليفوي « قصة انسان حقيقي » ولجنكيز آيتاتوف » وداعا ياغولساري ! » ولقصاصين سوفييت اخرين عن حياة ومآثر لينين (بمناسبة الذكرى المائة لميلاده التي ستحل في عام ١٩٧٠) وغيرها . ولكن القارىء العربي يطالب بان يقرأ ادب ليونوف (وقد حل يوبليه السبعيني) ومختار عوضوف (صاحب « طريق آباي ») وغايدار، وكراتشكوفسكي وفينيكوف وكراتشكوفسكايا وكوفاليفسكي ودولينا وديميدتشيك وغريغوريان وتسيرتيلي وغيرهم ممن تحدثوا عن الثقافة والادب العربي ، ويطالب ايضا بان يقرأ المزيد من أدب غوركي واهرنبورغ وآتيمانوف وسواهم ، وان يقرأ عيون الادب المسرحي السوفيتي ، والكتب المعتمدة في علم الجمال ونظرية الادب والفن . ولعل دار التقدم ستتسع في وقت قريب لتتحمل كل هذه المهام التي تضعها امامها وقائع وامكانات وآفاق تطور العلاقات الثقافية السوفيتية العربية . ولعلنا سنتحدث عن « دار السلم » ، الدار الاخرى ، في كلمة اخرى ،قريبا.

(موسكو ـ جليل كمال الدين)

ايطاليا

رسالة من نبيل المهايني

***

فضل الثقافة العربية على الغرب

عقد في شهر نيسان المنصرم المؤتمر الثاني للدراسات الشرقية ، وكان يرمي الى دراسة نقدية للعلاقة الثقافية بين الشرق الاسلامي والغرب المسيحي في العصور الوسطى ، وذلك في حقول العلوم والفلسفة واصول الطريقة التجريبية . وفيما يلي مقتطفات من احدى الصحف الرومانية اليومية حول المؤتمر :

« الرازي ، البيروني ، الهيثم ، جابر ... ان هذه الاسماء ، ان لم تذكرنا اليوم بشيء ، فهذا يعود الى ريفية ثقافتنا التي تميل لاهمال ذكر أي فضل ندين به ، حتى العصور الوسطى ، للاسلام ، ليس في الحقل الفلسفي فحسب ـ واسماء مثل ابن سينا وابن رشد معروفة حتى لدى من قام بالدراسة الثانوية ـ بل حتى في العلوم ـ بصورة خاصة ، ان اقتصرنا على حقول الشخصيات الكبرى التي ذكرناها ، ففي الطب والجغرافيا والبصريات والكيمياء ـ . والطريقة التجريبية نفسها ، والتي هي من أهم ثمرات العلوم الحديثة ، والتي نتجت عنها بقية الثمرات ، الا تعود ربما الى تلك الانوار التي كان لعرب اسبانيا فضل فيها على روجيرو باكوني ، والتي اكتسبوها هم بدورهم من الشرق الاسلامي ؟

« لقد نشأت فكرة هذا الالتقاء في روما عن مؤسسة « اليساندرو فولتا » والتي ـ ومنذ عام ١٩٥٦ وبوساطة اكاديمية دي لينشي ـ حركت مؤتمرا مماثلا خصص لدراسة علاقة الغرب بالشرق في العصر الوسيط وذلك من النواحي التي تهم التاريخ الديني والادبي والتشريعي والاقتصادي . وقد اوحت النتائج التي توصل اليها المؤتمر بالتبادلات الخصبة التي تمت في الماضي في مواقف دينية وافكار سياسية وهيئات تشريعية وتعابير فنية . اما الآن فأمام المجتمعين في مؤتمر روما بحث العلاقات بين الغرب والشرق الاسلامي من الجانب الفلسفي والعلمي . وبصورة ادق ، اثر العلوم والفلسفة التجريبية في العصر الوسيط على الحضارة الاوروبية، ومعرفة وسائل البث من العالم العربي الى العالم الغربي .

وتتجمع في هذه الايام ثمرات دراسات طويلة قام بها مختصون بلجيكيون ومصريون وايرلنديون وبولونيون واسبانيون واميركيون وايطاليون . ان هناك آلافا من المخطوطات العلمية والادبية والفلسفية تغط مهملة منذ قرون في مكتبات العالم الاسلامي . ولقد خمن انه في القسطنطينية وحدها ، وفي مختلف مساجدها ، يوجد ثلاثون مكتبة لم يقدر بعد مقدار غناها الا بصورة سطحية . كما انه يوجد في القاهرة ودمشق والموصل وبغداد ودلهي مجموعات كاملة ما تزال بحاجة للتصنيف . واعتقد انه حتى في الغرب وفي مكتبة ايسكوريال في مدريد ، لم تنجز بعد قائمة المخطوطات الاسلامية في العلوم والادب والشريعة . ان هناك عملا لاجيال من الباحثين والمؤرخين . وما يمكننا سماعه هذه الايام في الحوار السابق الذكر في فيلا كورسيني ، ليس الا فصلا صغيرا من اطار ما زال بحاجة لاعادة انشائه .

« ان اول الاكتشافات الجغرافية ، التي حملت العرب في القرن السابع الى الصين والصينيين الى افريقيا ، قد ساعدت على تقدم العلوم والتكنيك . ولقد وضح العديد من الحاضرين تطور الميكانيك والكيمياء والارصاد والمعارف الهولانية ، وتتبعوا عبر الوثائق ، كيفية ترجمة وانتقال وتطوير هذه العلوم في الغرب المسيحي . لقد بحث في الكيمياء « ارماند آبل وجورج قنواتي » ولانكهن ـ العرافة ـ عبر الاحلام « توفيق فهد » ومختلف اختصاصات الطب « البير ديتريسن

وسامي حمارنة » والصيدلة « مارتين ليفي » والزراعة « تاديو ليويكي وروبيرت سيرجانت » وعلوم الحيوان « جان تيودوريد » ثم حتى في الدروس التي اعطانا اياها العرب حول موضوع الفش والتدليس « جورجو ينبيا » وانهى الكاتب مقاله في صحيفة « الميساجيرو » بقوله : « الا يمكن لمعالجة الشروط الاجتماعية والثقافية في عام ١٢٠٠ ان تساعدنا حتى على بلوغ انسانية جديدة ؟ ».

***

مقابلة مع « مورافيا » حول روايته الجديدة

اجرت صحيفة « باتيري سيرا » الرومانية اليومية مقابلة مع البرتو مورافيا حول روايته الجديدة « الخيال » والتي انهى مورافيا كتابتها مؤخرا ، وهي في سبيلها للنشر .. بينما قد تم بيع حقوق نشرها في الخارج منذ الآن . وفيما يلي ترجمة للكامل المقابلةعن الصحيفة المذكورة :

س ـ ما هي القضية الاساسية في كتابكم الجديد ؟

ج ـ ان الموضوع مشار اليه في العنوان . وبصورة اخص ، فالرواية مبنية على الفكرة القائلة بأن الخيال انه مكيف ومحدود ، أي مقيد ، حتى على مستوى اللاوعي . وقد دل التحليل النفسي ، ذو الاتجاه الفرويدي في البحوث حول اللاوعي ، على ان الاخير هذا اقل حرية من الجانب الواعي في نفسيتنا . ولم يكن من قبيل الصدفة أن كبار الموحين للاوعي في الرواية ، أي كافكا وجويس ، لم يفلتا من هذه الميكانيكية ، وان مقلديهما واتباعهما غارقون هناك حتى العيون .

وعلى عكس هذا فان الفعل ـ ولانه ليس كالخيال قضية ذاتية وباطنية بصورة تامة ، بل يدفعنا الى العلاقة مع واقع مجهول وموضوعي ـ يمكنه ان يكون حرا واصيلا . واقول « يمكنه » لانه من الواضح ان الفعل ايضا مكيف ومقيد . لكن يجب القول بأن الفعل يجعلنا نتصل مع « الآخر » مع « الآخرين » . وفي بعض الحالات فان التكيف يوضع على المحل وهناك يتلاشى بفعل « الاتصال » . وبكلمة اخرى فالخيال يخضعنا والفعل يحررنا .

س ـ هل تشارك هذه الرواية ، بشكل ما ، في جو الازمة والاضطراب المضمنين في حركة « الرفض » الحالية ؟

ج ـ ان روايتي تشارك فيجو الازمة والاضطراب الحاليين واللذين عبرت عنهما حركة الرفض ، ذلك من حيث أنها رواية « معاصرة » ، ومن الواضح أني لا اعني « بالمعاصرة » معاصرة الصحف وما شابهها ، ولكن كل ما هو مهم في اللحظة الحضارية على الصعيد التاريخي .وعمااذا كان هناك « رفض » في الرواية ؟ هناك رفض ، نعم ، ولكن ليس من ناحية وثائقية وطبيعية كطابع لموضوع الخيال .

س ـ منذ وقت طويل والجميع يتكلمون عن ازمة في الرواية. فهل هو ذنب الروائيين ام ان « النوع » قد فاته القطار ؟ وما هو رأيكم ، على كل ، حول الموضوع ؟

ج ـ الرواية ليست في أزمة ، الروائيون هم الذين لا يعرفون التحرر من فكرة الرواية التقليدية ، واود القول رواية القرن التاسع عشر . ان ما قتل رواية القرن التاسع عشر او بالاحرى الرواية المبنية على السردية (اي على قصة) انما كان اكتشاف اليومية واكتشاف اللاوعي . وفضل الاول يعود الى فلوبير والثاني الى دوستويفسكي . ومن فلوبير وصلت الى « الرواية الجديدة » ومن دوستويفسكي الى الرواية الوجودية ، وهكذا يمكننا اعتبار « الرواية الجديدة » والرواية الوجودية (علاوة على تيارات اخرى ذات اهمية اولى الخطين الرئيسيين في الرواية الحديثة .

س ـ من المتوقع أن تصدر عما قريب مسرحيتكم « الحياة لعبة » ، وهي الثالثة التي كتبتم في اعوام قلائل ، فأيهما اسهل بالنسبة اليكم : كتابة المسرحيات ام الروايات ؟

ج ـ « الحياة لعبة » هي مسرحيتي الخامسة (وقد كتبت ايضا ثلاثة فصول وحيدة) بعد « المقنعة » و « بيانرتيش كشينشي » و « الحياة هي تلك التي هي » و « الاله كورت » . ان موضوع الدراما يشكل تناقضا بين الرؤيا النفعية للعالم والرؤيا المبنية على فكرة اللعب . واعتقد ان اللعب انما هو مرادف الحرية . طبعا ليس الحرية من هذا او من ذاك الشيء (حرية من الجوع ، من الضغط .. الخ) . فهذه فكرة سلبية عن الحرية ، في نهاية المطاف ، ولكن الحرية المطلقة . وبالطبع ، وكما هو واضح في مسرحيتي فان حرية مماثلة انما هي خطيرة .

اما عما هو اسهل : كتابة ، المسرحيات ام الروايات بالنسبة لي ، فأقول ان كليهما بالغ الصعوبة . ولكن هناك اشياء لا يمكن قولها الا على المسرح . وفي هذه اللحظة في الاشياء التي استطيع ان اقولها . اما ما هي هذه الاشياء ؟ فليس من الصعب تخيلها اذا ما تذكرنا ان المسرح قد كان الافضل ، وبصورة واسعة ، الديني ، الذي كان الانسان يتساءل فيه ، على مر القرون ، من مصيره وقدره .

س ـ كيف تسير الامور بالنسبة لكم في عالم المسرح الايطالي ؟ على ما اعلم فقد كانت لكم تجربة فريدة مع « الاله كورت » الذي كان قد سقط منذ عامين في مسابقة « جائزة بيراندييللو » ، بينما يعود الآن ليسجل حدثا بارزا في مجال العائدات والجمهورية ؟

ج ـ الامور تسير بصورة سيئة ، كما لو كنت في بلد غريب أو حتى معاد « والاله كورت » لم يسقط في مسابقة « جائزة بيراندييللو » وحسب ولكن حتى في مسابقة جائزة « مارتزوكو » العالمية . ولكن ، ومن جهة أخرى ، فحتى « اللامبالون » لاربعين عاما خلت ، قد رفض من قبل كل الناشرين (وقد قال لي احدهم بانه « ضباب من الكلمات ») وقد اضطررت في النهاية لنشره على حسابي الخاص . وبهذا كله اردت القول ، بكل بساطة ، بانه في الحياة كما في الفن ، ليس من السهل ان يفهمنا الآخرون . ثم وفي نهاية الامر ، فان هذا التفهم لا يدل على شيء .

س ـ بمناسبة « الرفض » ، لقد « رفضتم » أنتم ايضا واكثر من مرة ، وقد كانت المرة الاخيرة في باري في الاسبوع الماضي . فماذا تفكرون بهؤلاء الشبان الذين يقومون بالهجوم عليكم وفي كل الجهات ؟ هل تحترمونهم ؟ هل لديكم بعض النصائح او الاقتراحات من اجلهم ؟

ج ـ لقد « رفضت » كثيرا ، مثلي مثل جميع من قد اشتهر في حقل معين لانه عمل فيه مدة طويلة ولم يعد ، في الوقت نفسه ، شابا. لقد حدث هذا في ايطاليا . اما في فرنسا والولايات المتحدة والصين فلم يكن للقاءاتي مع الطلبة اي طابع عدائي . ولكن من الصحيح ايضا اني لست فرنسيا ولا اميركيا ولا صينيا . وبصورة اجمالية ، واذا استثنينا ما يجب استثناؤه ، فيبدو لي فيما يتعلق بالفن ، بأن « الرفض » في ايطاليا على الاقل ، انما هو في موقع « جدانوفي » .. خاصة فيما يتعلق بالماوتسيين . وعلى كل حال ، فهي مواقع تتعلق بالثورةالثقافيةالصينية ايضا .انهذه المواقع ومواقع الواقعيةالاشتراكية، لم تعط في الماضي اية نتائج قيمة ، وعلى كل فهذا لا يبرهن على شيء ، ففي الفن كما في السياسة ليس للكلمات اهمية ، وما يهم انما هي الافعال .. وسنرى النتائج .

وقد سبق لي وان قلت ما افكره بالحركة الطلابية في كتابات عديدة ظهرت في « احاديث جديدة » . وبصورة محقرة فقد كنت دائما الى جانب « الرفض » . اما قضية ان « الرفض » لم يكن ببعض المرات الى جانبي فهذا لا يؤثر عليه مطلقا . والتاريخ ليس قضية حوادث شخصية . اما عما اذا كنت احترمهم ؟ فنعم ، حتما ، ولكن اكثر باعتبارهم حركة معتبرة بكليتها ، منهم شخصا شخصا على انفراد . هذا ومما لا شك فيه بأن بينهم اشخاصا يتمتعون بمزايا فردية تجعلهم يبرزون في كل الظروف . وعلى كل فالفن مهما كان نوعه لا يمكن له ان يلقى مطلقا عطف من يهتم عمليا بالمشاكل الاجتماعية . انهم يعيبون عليه كونه ملتزما او غير ملتزم ، او حتى كونه ملتزما او غير ملتزم بالطريقة « الصحيحة » . واذكر هذا كيما اشير الى ان المجتمعات (الجمع للتأكيد) قد هاجمتني دائما وبصورة او اخرى . ذلك لانه لا يوجد ولم يوجد ابدا ولن يوجد على الاطلاق مجتمع او مجموعة اجتماعية لا تعتبر ان على الفن ان يكون « مفيدا » .

***

اضواء على الموسم المسرحي

وسط الصخب الذي يدور حول كافة المؤسسات هنا، كان للصخب الذي دار حول المسرح دويه البارز . وفي المسرح ، كما في بقية المؤسسات ، يدور الحديث حول الازمة . الازمة التي تعصف بكل صغيرة وكبيرة . فما من احد يعرف من اين يبدأ واين ينتهي . الكل يدورون في حلقة مفرغة يبحثون عن نقطة استناد ، عن موطىء قدم .. لكن عبثا . والازمة في المسرح تتناول اليوم ، كما كانت تتناول في الامس ، ناحية الابداع والخلق والبحث عن صيغة معاصرة ملائمة له. صيغة مختلفة .. صيغة شعرية . لكن ما يميز ازمة اليوم هو أن عدواها انتقلت من المبدعين الى الخلق ومن النصوص التي يجب ان تكتب الى النصوص المكتوبة . انتقلت من الدعاوى الى الذوق، ذوق الجماهير .. وهكذا فليس الكتاب هم وحدهم في الازمة بل المخرجون والممثلون والجمهور .

وعلى ما يبدو فان التاريخ يعيد نفسه ، فالحلقات الكلاسيكية انتهت « بثغرة » الكوميديا الفنية الايطالية العظيمة ، وبعدها نشأت حلقات المسرح الحديث والمعاصر ، والتي تفتق آخرها عن نوع من الامل، من التطلعات نحو « كوميديا فنية » من نوع جديد .

هذا على الصعيد النظري ، اما على الصعيد العملي فهناك حدثان ارى ان لهما اهميتهما الخاصة في الموسم المسرحي لهذا العام :

١ ـ فبعد نشر بيير باولو بازوليني لبيانه المسرحي في مجلة «احاديث جديدة » انكب هو بذاته على اخراج مسرحية له في احد مسارح مدينه تورينو ، بعنوان ORGIA . وكانت مسرحية من نوع جديد من حيث المحتوى والشكل والاخراج ... وطبعا ـ وكما قال المخرج انه يتوقع ـ لم نيل الحدث ذلك الاهتمام من قبل الجمهور، والذي ليس له الا ان يرفض البحث عن مصدر للصداع . وقد كان من الواضح ان تقديم المسرحية على منصة مسرح عادي وتقليدي كان يشكل تناقضا مع فحوى ما جاء في البيان الآنف الذكر . الا ان الشروط الاقتصادية تفرض نفسها دائما على من يريد تقديم عمل ما للجمهور، فهو مضطر للجوء الى وسائل التبليغ التقليدية .

ولنر الآن اهم ما جاء في بيان بازوليني :

« ان « مسرح الكلمة » انما هو مسرح جديد بصورة تامة ، ذلك لانه يتوجه الى طراز جديد من الجمهور ، متجاوزا ، على الاطلاق والى الابد ، الجمهور البرجوازي التقليدي .

وتكمن حداثته في كونه مسرحا للكلمة : اي في كونه على طرفي نقيض من المسرحين التقليديين للبرجوازية وهما « مسرح الثرثرة » ومسرح « الصرخة والاشارة » واللذين حملا الى وحدة جوهرية وذلك من قبل ١) الجمهورية ذاته (والذي يسليه الاول ويشينه الثاني) ٢) ومن قبل عدائهما المشترك للكلمة (والاول هنا مراوغ والثاني لاعقلاني).

« ان مسرح الكلمة لا يبحث عن « الفراغ المسرحي » في الوسط والمحيط ، بل ودائما ، في الرأس . ومن الناحية التكنيكية فان هذا « الفراغ المسرحي » سيكون جبهيا : فالنص والممثلون تجاه الجمهور : كما ان المساواة الثقافية المطلقة بين هذين المحاورين ، اللذين ينظران كل واحد منهما في عيني الآخر ، تشكل ضمانا واقعي الديموقراطية ، حتى المسرحية منها .

« ومسرح الكلمة شعبي ، ليس من حيث انه يتجه بصورة مباشرة او بيانية (بلاغية) نحو الطبقة العاملة ، بل من حيث انه يتجه نحوها بصورة غير مباشرة وواقعية وذلك عبر المفكرين البرجوازيين المتقدمين والذين يشكلون جمهوره .

« وليس لمسرح الكلمة اي اهتمام مشهدي او دنيوي ... الخ ... فاهتمامه الوحيد هو الاهتمام الثقافي والذي يجمع بين المؤلف والممثلين والجمهور ، وهم كلهم يؤدون آذا ما اجتمعوا « طقسا ثقافيا » .وما سماه بازوليني بمسرح الكلمة انما يتجه نحو هدف عبر عنه بقوله ان «المسرح يجب ان يكون ما هو ليس بالمسرح . . وعلى كل فمن المحتم ان ترمن بريخت قد انتهى الى الابد » . حيث ان بريخت كان (آخر رجل مسرح استطاع ان يقوم بثورة مسرحية من داخل المسرح ذاته : وهذا كان لانه آنذاك كانت توجد فرضية تقول بأن المسرح التقليدي موجود ـ وبالفعل فقد كان موجودا ـ اما الآن .. فالفرضية تقول بأن المسرح التقليدي لم يعد موجودا ، او انه في طريقه للتلاشي » . وحسب رأي بازوليني فقد كان بالامكان ايام بريخت « اجراء اصلاحات عميقة حتى ، دون ان يوضع المسرح موضع المناقشة . بل ان هدف تلك الاصلاحات كان جعل المسرح مسرحا أصيلا . اما اليوم فموضع المناقشة انما هو المسرح في حد ذاته » .

ولعل بازوليني قد وضع يده على الجرح عندما تعرض لقضية مواجهة الجمهور للمسرح ، فمن الواضح ان موقف الجمهور اليوم امام المسرح وفي داخله ، انما هو موقف من قد اشرف على « اللامبالاة »، ومن هنا الازمة التي بدأ الممثلون والمخرجون بتحسسها ... ولكن ، ومن هنا ايضا ينطلق تأكيد بازوليني بأن « من يتوجه اليهم المسرح الجديد لن يتسلوا ولن يهانوا امام المسرح الجديد ، ذلك لانهم ينتمون الى جماعات متقدمة من البرجوازية ولانهم على قدم وساق مع مؤلف النصوص » .. « وبالجماعات المتقدمة من البرجوازية نعني آلاف المفكرين القليلة في كل مدينة ، والذين قد يكون اهتمامهم الثقافي بسيطا ، ريفيا .. لكنه على كل حال واقعي » والمسرح الجديد « لايخفي بانه يريد ان يتكون بصورة واضحة على مسرح الديموقراطية الآثينية ، متجاوزا بصورة تامة كل التقليد الحديث للمسرح البرجوازي ان لم نقل كل التقاليد الجديدة لمسرح عصر النهضة وشكسبير ... وعندما تأتون لمشاهدة عرض « لمسرح الكلمة » فتعالوا للسماع اكثر من مجيئكم للرؤية ... ومن الطوابع الاساسية « لمسرح الكلمة » ـ وذلك كما في مسرح اثينا ، الانعدام الذي يكاد يكون مطلقا ، للحدث المسرحي » .

وليس بوسعي للاسف ترجمة البيان بصورة كاملة .. على كل آمل ان اكون قد اعطيت فكرة عن البيان وتدعيما عمليا لما قد يدور في ذهن القارىء العربي من ازمة المسرح هنا . ومهما يكن فان كل محاولات التخبط هنا ـ في كل المجالات ـ للخروج من الازمة ازمة عويصة شعر الغربيون بطوقها حول الاعناق ، لتكون دعوة وحثا عمليين لكل ممن هم ـ عمليا .. وفي نهاية المطاف ـ خارج نطاق الازمة او على حوافها ، وذلك من اجل مواجهة اعمق واصرم واشمل لقضاياهم ـ قضايانا ـ .. ومنها قضايا المسرح والسينما ... ثم ـ ولم لا ـ كل شيء ...

٢ ـ الحدث الثاني في هذا الموسم المسرحي هو دخول مورافيا المسرح وسط تناقضات الواقع الايطالي حوله .. وبعرض مسرحية « الاله كورت » ـ والتي اشرف مورافيا على تجاربها ـ في روما بدأت سلسلة « اعادة الاعتبار » لمسرحه الذي بقي في الظل زمنا طويلا . والمسرحية عرض لرأي مورافيا في المسرح والقدر في القدر (وارى ان المجال لن يتسع لتفصيل هذا : واعتقد انه قد تكفي اشارات مورافيا ذاته لهذا في بعض مقالاته التي ترجمتها في الاعداد السابقة من « الآداب ») وتدور حول تمثيل تراجيدية يونانية في معسكر اعتقال نازي ، يخرجها « كورت » آمر المعسكر النازي : الاله . وعلى كل فما زلنا ننتظر ردة الفعل العملية للجمهور الذي ما كان يرى في مورافيا الا الروائي ـ وسط نقد ومعارضة شديدين هنا وترحيب وتفهم في الخارج ـ .. لكن واذا كان « الجمهور الجديد » قد اسكت سارتر في باريس (بعضهم صاح في وجهه بينما كان يتكلم : اذهب للنوم يا بابا) فلا ادري الى اي حد سيستطيع مورافيا ان يستمر في « الكلام » !..

حدث بارز اخر ، وان كان جانبيا ، ارى انه لا بد من ذكره ، وهو استقالة جورج ستيهلو من ادارة مسرح « البيكولو » الرئيسي في ميلانو وتشكيله لفرقة مسرحية خاصة ، كان اول نشاطها مسرحية « انشودة وحش لوتساني » بيتر فايس . وستيهلر من طليعة المخرجين المسرحيين الايطاليين ، وربما من اهم ما يذكر له اخراج مسرحية « الدوامة » لسارتر في ميلانو (قدمت آنئذ في برلين ايضا من قبل بيسطاتور) في الوقت الذي لم يكن لجمهور باريس ذاته ان يشهدها .

روما — نبيل مهايني